

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[266] يقوله سبحانه في هذه الآيات: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكُمْ بِأَنْبِيَاءٍ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَذْبَحُ بَقَرَةً هُمْ ذُوقُوا عَذَابَ اللَّهِ بَرًّا أَنْ أَعْلَوْذُ بِهِ قُلْ مَنْ لَكُمْ مِنْ الْإِجَاهِلِينَ). أي إن الإستهزاء من عمل الجاهلين، وأنبياء الله مبررون من ذلك. بعد أن أيقنوا جدية المسألة، (قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ). وعبارة "ربك" تتكرر في خطاب بني إسرائيل لموسى، وتنطوي على نوع من إساءة الأدب والسخرية، وكأن رب موسى غير ربهم!! موسى (عليه السلام) أجابهم: (قَالَ إِنَّ رَبَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ) أي إنها لا كبيرة هرمة ولا صغيرة، بل متوسطة بين الحالتين: (فَاعْلَوْا مَا تَفْعَلُونَ). لكن بني إسرائيل لم يكفوا عن لجاجتهم: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُفِهَا؟) أجابهم موسى: (قَالَ إِنَّ رَبَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقْع لَوْ نُفِهَا تَسْرُرُ الذَّاطِرِينَ) أي إنها حسنة الصفرة لا يشوبها لون آخر. ولم يكتف بنو إسرائيل بهذا، بل أصرّوا على لجاجهم، وضيّقوا دائرة انتخاب البقرة على أنفسهم. عادوا و(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) طالبين بذلك مزيداً من التوضيح، متذرعين بالقول: (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عِلَاقًا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ). أجابهم موسى (قَالَ إِنَّ رَبَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ) أي ليست من النوع المذلّل لحرث الأرض وسقيها. (مُسَلَّمة) من العيوب كلها. (لا شية فيها) أي لا لون فيها من غيرها. حينئذ: (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ).